بدايتها حول السؤال الذي لا يـزال مرتسما ، والتحولات داخل القصيدة ، ليست سوى محاولة للمزج بين اطراف متعددة ، توحدهـا الكآبة ، ويصير فيها الوطن صدى لامتداد الانسان في عالم موحش ، يغربه ويدفعه خارجا ، فلا يبقى امامه سوى التساؤل :

« لماذا نحاول هذا السفر

وكل البلاد مرايا

وكل المرايا حجر

لماذا نحاول هذا السفر »

ان قراءة ثانية لقصيدة درويش تطرح علينا العديد من الاسئلة ، عن مسار التجريبية في الشعـر العربي ، التي يحاولها درويش في اصرار وعناد . فتجريبيته تتنقل بين محورين :

أ ـــ القصيدة الشاملة ، التي تحمـل موقفـا انسانيا شموليا ، وتحاول ان تبلوره بلغة شعرية تبتعد عن تراث لغة الشاعر ، لتكتشف في اللغة ابعادا جديدة ، ولتقتحم الاسـئلة الصـعبة التي تطرحها المواجهة الواقعيـة . في بناء متعـدد الاصوات ، تتبع هندسته التشكيلية مـن داخـل العلاقة بين اطرافه المتعددة .

ب ـــ الغنائيات ، التي هي استمرار ، لتراث الشاعر اللغوي والرؤيوي ، يقف المغني وسط قضيته ، ويتنقل بين ابعادهـا حاملا صورته فـي الاساس ، المنعكسة على جسد الحبيبة الغائبة دائما .

في العلاقة بين هذين المحورين، ينمو شعر درويش، محاولا ان يمسك بطرفي لعبته الخطرة . فالانتقال نهائيا الى مواقع جديدة ، بشكل جذري ، ليس قضية شخصية ، يستطيع شاعر ان يحلها بشكل فردي . انها قضية تغييرات الواقع ، وانفجاراته، التي بها ، ومعها يتطور الشعر ، ويكتشف ارضه التي يقف عليها

« آه لا بد من حارس بيننا

كأن المياه التي تفصل الجسدين

دم الجسدين

وكنا هنا ضفتين »

« كأني أحبك » ، محاولة للاستمرار الغنائي ، لكن الاستمرار لا يعني البقاء ، دون انعطافات يفرضها منطق الحب ، ومنطق توغل الفجيعة داخل علاقة الشاعر بأرضه وشعبه . فاذا به يمشي بين فراغين ... « مر يوم بلا شهداء » و « مر يوم بلا شعراء » ليصل الى لحظة السؤال عـن معنى العلاقة بين جثته والقمر في بدايـة الشروع في مغامرة السفر ، الذي يبقى سؤالا بغير جواب .

ادونيس . .
يهدم من الداخل

في ٣٠ حزيران ١٩٧٣ ، جرت مناقشة الرسالة التي تقدم بها الشاعر ادونيس لنيل الدكتوراه في الادب العربي في معهد الاداب الشرقيـة التابع لجامعة القديس يوسف في بيروت. موضوع الرسالة « الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والابداع عند العرب ـــ منذ نشوء الاسلام حتى نهاية القـرن الثالث الهجري ـــ » وقد شارك في النقاش : الاب بولس نويا ، سعيد البستاني ، انطوان غطـاس كرم وعبدالله عبد الدايم . والرسالة هي حدث هام في حياتنا الثقافية ، لانها من جهة تطرح احد اعقد الموضوعات الفكرية ـــ العلاقة بالتراث وفهمنا لهذا التراث ـــ ولانها من جهة ثانية تتبع منهجية جديدة ، دراسة التراث من منظور مقولتي الثبات والتحول ، لتصل الى استنتاجات جذرية . وفي الدفاع الذي تلاه في بداية المناقشة ، قدم ادونيس الخطوط الرئيسية لاستنتاجات رسالته : « بما ان الثقافة العربية ، بشكلها الموروث السائد ، ثقافة اتباعية ، لا تؤكد الاتباع وحسب ، وانمـا ترفض الابداع وتدينه ، فان هذه الثقافة ، تحول بهذا الشكل الموروث السائد ، دون اي تقدم حقيقي . لا يمكن بتعبير آخر ، كما يبدو لي ، ان تنهض الحياة العربية ويبدع الانسان العربي ، اذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه ... غير ان كل تغيير يفترض الانطلاق بأن اصل الثقافة العربية ليس واحدا بل كثير . وبأن